شارل بيرو

Charles Perrault

صاحب اللحية الزرقاء

ترجمتها عن اللغة الفرنسية:

سلمى الشرقاوي

عن شارل بيرو

هو شاعر وروائي فرنسي، عرف بكونه مؤسسا لأدب الخرافة، ولد في الثاني عشر من يناير 1628، ورحل عن عالمنا في السادس عشر من مايو عام 1703، وخلال حياته كان عضوًا بارزًا في الأكاديمية الفرنسية، واشتهر بمجموعاته القصصية للأطفال مثل قصة سندريلا وذات الرداء الاحمر والجميلة النائمة، وتعتبر قصة صاحب اللحية الزرقاء هي قصة ضمن مجموعة قصصية بعنوان "حكايات الاوزة الأم".

ولد شارل بيرو لعائلة ثرية فكان هو الطفل السابع فى هذه الأسرة، وتلقى تعليما جيدًا، ودرس القانون، والتحق بالمهن الحكومية على خطى والده وشقيقه، وشارك في إنشاء أكاديمية العلوم، واستعادة أكاديمية الرسم.

صاحب اللحية الزرقاء!

في يومٍ من الأيام وقبل فترة وجيزة من الزمن، كان هناك رجلٍ ثري جدًا. أمتلك منازل جميلة في المدينة والريف، وكانت أطباقه وصحونه مصنوعة خصيصًا له من الذهب أو الفضة، وكانت غرفهُ مرصعة بالموزاييك، كراسيه وأرائكه مغطاة بأجود أنواع الحرير، عرباته مطلية بالذهب بزخرفة رائعة. ولكن حدث أن يكون لدى هذا الرجل الثري لحية زرقاء!

مما جعله غاية في القبح والريبة، حتى أنه لم تجرؤ أي سيدة في المنطقة التي يعيش فيها على الاقتراب منه.

عاشت سيدة مرموقة بالقرب من منزله، وكان لديها ابنتان جميلتان جدًا يتردد عليهن الخطاب من أنحاء البلاد ويُقابلون بالرفض، فقرر ذو اللحية الزرقاء من السيدة اختيار واحدة من بين ابنتيها لتصبح زوجته، وترك لها اختيار من بينهن. لكن الابنتين رفضتا بالطبع الزواج من هذا الرجل الذي تعتبره البلدة

مصدرًا للقبح. ولكن ليكنا مهذبتين، قالت كل واحدة منهما أن السبب الوحيد الذي يمنعها من الزواج هو أنها لا ترغب في أن تحرم شقيقتها من هذه الفرصة الجيدة.

في الواقع، لم يكن السبب الحقيقي هو اللون الأزرق للحية، بل الشائعات التي سمعتاها عن زواجه من عدة زوجات سابقة ولا أحد يستطيع أن يؤكد مصيرهن بالضبط.

كان الرجل متشوقًا جدًا لكسب رضاهما، فطلب من السيدة وابنتيها، وبعض السيدات اللاتي كانوا يزورن منزلهم، أن يرافقوه إلى إحدى منازله في الريف، حيث قضوا أسبوعًا كاملاً يقضون وقتهم في الاستمتاع بالصيد والاستماع للموسيقى والرقص وتحضير الولائم. لم يفكر أحد في الذهاب للنوم، وقضوا هذه الليالي في الاحتفالات المرحة بأنواعها.

وباختصار، مر الوقت بكل سعادة، حتى بدأت الأخت الصغرى من الأختين تعتقد أن اللحية التي كانت تخاف منها كثيرًا ليست زرقاء جدًا بل إنها زرقة يمكنها تقبلها، وأن السيد الذي يملكها هو رجل عادي لديه شيئًا مختلف عن كل الرجال فقط.

بعد عودتهم إلى المنزل، أخبرت الأخت الأصغر والدتها بأنها لم تعد لديها أي مانع في قبول الرجل صاحب اللحية الزرقاء كزوجٍ لها، وبالفعل وفي وقت قصير جدًا تمت المراسم زواجهما.

بعد حوالي شهر من اتمام الزيجة، أخبر الرجل ذو اللحية الزرقاء زوجته أنه سيضطر لمغادرتها لبضعة أسابيع، حيث يجب عليه أن يهتم ببعض الأمور في الريف فطلب منها التأكد من الاستمتاع بكل نوع من المتعة، ودعوة الأصدقاء الذين ترغب في استضافتهم، وتكريمهم بجميع أنواع الأطعمة اللذيذة، حتى يمر وقتها بسعادة حتى يعود إليها مرة أخرى.

«تفضلي» قال لها، وأردف:

«هذه مفاتيح الخزنتين الكبيرتين، وها هو مفتاح الصندوق الكبير الذي يحتوي على أفضل الأواني... نستخدمه للزوار، أما هذا فيعود لصندوق النقود الخاص بي، وهذا يعود لصندوق الزخرفة، الذي يحتوي على جميع مجوهراتي. هنا أيضًا مفتاح رئيسي لجميع الغرف في المنزل»

صمت قليلًا ثم تابع:

«ولكن هذا المفتاح الصغير ينتمي إلى الخزانة في نهاية الرواق الطويل في الطابق الأرضي، تعلمين أنني أعطيكِ الحرية لفعل ما تشائين في القصر ولكن لا تفتحي هذه الخزانة يا حبيبتي يجب ألا تتوجهي ناحيتها حتى، ولا حتى تضعي المفتاح في القفل، بأي حال من الأحوال، إذا لم تطيعيني في هذا الأمر، ستعاقبين أسوأ العقاب». وعدته الفتاة بنبرة حانية بأنها ستطيع

أوامره فأقترب منها وبدأ تقبيلها بلطف حتى أتى الحارس يعلمهُ بأن عربته قد وصلت، فخرج واتجه إليها ومضى بعيدًا.

***

عندما غادر الرجل، لم ينتظروا أصدقاء زوجته أن يُطلب منهم المجيء للقصر، لأنهم كانوا حريصين جدًا على رؤية الثروات واللوحات والخزف وبقية الأشياء الجميلة التي حصلت عليها صديقتهم من خلال الزواج؛ لأنهم لم يحضروا حفلة الزفاف بسبب كراهيتهم للحية العريس الزرقاء.

فور وصولهم إلى القصر، بدأوا يتنقلون من غرفة إلى غرفة، من خزانة إلى خزانة، متفحصين كل شيء بدهشة وسعادة، وكانوا يقولون إن كل غرفة جديدة يدخلونها هي أغنى وأجمل من الغرفة السابقة التي رأوها. وأخيرًا وصلوا إلى غرف الاستقبال، حيث زادت دهشتهم من البذخ والروعة التي تزين بها الستائر والأرائك والكراسي والسجاد والطاولات والمرايا؛ إطارات هذه الأخيرة كانت مطلية بالفضة ومُزينة بأفخر الزينة، كما رأوا أنفسهم من رأسهم حتى أخمص قدميهم في المرايا التي كانت توجد بأحجامٍ كبيرة.

بإيجازٍ واختصار؛ لا شيء كان يمكن أن يفوق ثراء هذا القصر؛ فكان الجميع يعجبون ويحسدون حظ صديقتهم. ولكن في كل هذا الوقت، لم تكن العروس تفكر في الكلمات الرقيقة التي يقولونها

لها بل شغلت بالها بالتفكير بمعرفة ما يوجد في الخزانة التي طلب منها زوجها عدم فتحها. رغبتها في فتحها كانت كبيرة جدًا، وبدون أن تفكر للحظةٍ أُخرى، هربت من ضيوفها عبر دَرَجٍ خاص يؤدي إلى هذه الخزانة المحظورة، وكانت متعجلة حتى أنها كادت تقع عدة مرات وتكسر عنقها. وعندما وصلت إلى باب الخزانة، توقفت لبضع دقائق للتفكير في الأمر الذي أوصاها به زوجها وكيف أخبرها أنه لن يخالف كلمته وسيعاقبها بشدة إذا لم تطيعه. ولكن كانت فضولية جدًا وكما نعرف أن آفة الإنسان الفصول، معرفة ما يوجد بداخلها كانت رغبتها الوحيدة في هذه اللحظة، لذا قررت أن تخاطر بكل شيء ثم وضعت بيدها المرتعشة المفتاح في القفل، وفتحت الباب مباشرةً.

مع أن النوافذ كانت مغلقة، إلا أنها لم تستطع رؤية أي شيء في البداية؛ إلا أنها رأت في وقت قصير أن الأرض تقريبًا مغطاة كُليًا بدماءٍ متجلدة!، وعليها جثث العديد من النساء الميتات متراكمات فوق بعضهن. كانت هذه جميع زوجات الرجل ذو اللحية الزرقاء اللواتي تزوجهن وقتلهن واحدة تلو الأخرى بوحشية ودون ذرة رحمه .. ولكن لماذا؟

جعلتها حالة الذعر تسقطت مفتاح باب المخزن الذي كانت تحمله في يدها على الأرض. وبعد أن تجاوزت الفزع قليلًا، أمسكت بالمفتاح، وأغلقت الباب، وعادت بسرعة إلى غرفتها الخاصة لتحصل على بعض الوقت لترتيب أفكارها وتستعد

للتمثيل أمام ضيوفها. ولكنها لم تتمكن من ذلك بالطبع بسبب الرعب الشديد الذي شعرت به اثر ما رأته في الخزانة. عندما لاحظت أن المفتاح قد تلطخ بالدم عندما سقط على الأرض، قامت بمسحه عدة مرات لتنظيفه؛ لكن الدم استمر بالظهور على المفتاح كأنها لم تنظفه ابدًا. فقامت بغسله، لكن للأسف الدم لم يختفي على الإطلاق. ثم قامت بتنظيفه باستخدام مسحوق الطوب وبعد ذلك بالرمل، ولكن على الرغم من كل ما قامت به ظل الدم على المفتاح؛ لأنها لم تعلم أن هذا المفتاح قد ألقى عليه زوجها تعويذة سحرية لذلك كلما حاولت تنظيف الدم من جانب واحد، عاد للظهور من الجانب الآخر.

في وقت مبكر في نفس المساء، عاد ذو اللحية الزرقاء إلى المنزل قائلاً إنه قبل أن يذهب بعيدًا في رحلته التقى بفارسٍ ذهب إليه ليخبره بأن شؤونه في البلاد قد تمت تسويتها بدون أن يكون حاضرًا. وعندئذ قالت زوجته كل ما استطاعت التفكير فيه لجعله يعتقد أنها في حالة من الفرحة بعودته المفاجئة تلك!.

في الصباح التالي، طلب منها المفاتيح. أعطته إياها ولكنها لم تتمكن من إخفاء رعبها ورعشة يدها، فقد تخيل هذا القرد الأزرق بسهولة ما حدث.

فقال لها: «أين مفتاح خزانة الطابق السفلي؟»

فأجابت الزوجة:

«أليس هنا؟ أظن أنني نسيته على طاولة التزيين الخاصة بي»

رد زوجها: «تأكدي من إعطائي إياه فيما بعد.»

بعد أن ذهبت ذهابًا وإيابًا عدة مرات، كما لو كانت تبحث عن المفتاح، اضطرت في النهاية إعطائه إياه.

نظر فيه بشدة وقال:

«لماذا يوجد دم على المفتاح؟» فأجابته وهي تحاول اخفاء ملامح الرعب:

«أنا متأكدة أنني لا أعرف».

قال بغضب: «لا تعرفين؟ ولكن أنا أعلم جيدًا، لقد دخلت إلى الخزانة في الطابق السفلي! حسنًا جدًا يا عزيزتي، نظرًا لأنك مولعة جدًا بهذه الخزانة، لن تتأخري عن الانضمام إلى السيدات اللواتي رأيتهن هناك.»

سقطت زوجته، التي كانت على وشك الموت من الخوف، على ركبتيها، طالبت عفوه ألف مرة عن خطأها، وطلبت منه أن يسامحها، وهي تبدو حزينة ومرتعبة وجميلة جدًا في الوقت نفسه، لدرجة أنها إن رآه قلبًا أشد قسوة من الصخور فكانت ستذوبه. ولكن صاحب اللحية الزرقاء كان رده مختلفًا: «لا، لا، يا حبيبتي؛ ستموتين في هذه اللحظة!" قالت بين دموعها المنهمرة:

«أعطني قليلًا من الوقت على الأقل... كي أُصلّي»

فرد الرجل القاسي:

«أعطيكِ ربع ساعة، ولا لحظةٍ أكثر من ذلك»

عندما تركها لنفسها، استدعت أختها ثم أخبرتها بقدر ما استطاعت بانهيارٍ تام بأنها لن تعيش سوى نصف ربع ساعة. قالت:

«أرجوكِ يا آن» -كان هذا اسم أختها-

«إصعدِ إلى أعلى البرج وانظري إذا ظهر إخوتي الرجال في الأفق، فقد قالوا إنهم سيزورونني اليوم، وإذا رأيتهم، فأعطِ إشارة لهم لكي يركضوا إلى القصر بسرعة قدر ما يمكنهم»

فعلت آن ما طُلب منها، أما الأخرى فكانت كل دقيقة تنادي بخوف:

«آن ... يا آن! هل تري أحدًا قادمًا؟"

ردت شقيقتها قائلة:

«أنا لا أرى سوى الشمس التي تجعل الغبار يطير، والعشب ذو اللون الاخضر»

في ذلك الوقت، بدأ الزوج ذو اللحية الزرقاء، يصرخ بأعلى صوته وبيده سَيفٌ كبيرة

«انزلي الآن، أو سآتي إليكِ!»

فردت هي قائلة:

«لحظة أُخرى، أرجوك»

فصاحت بصوت خافت مرة أخرى لشقيقتها

«آن! هل تريهم؟»

فأجابت شقيقتها قائلة:

«أرى شيئًا سوى سحابة من الغبار على اليسار»

قالت الزوجة:

«هل تعتقدين أنهم إخوتي؟»

فأجابت آن:

«آسفة يا عزيزتي إنهم مجرد قطيع من الأغنام»

صاح الزوج مرة أخرى:

«سوف آتي لأحضرك»

قالت الزوجة:

«لن أستغرق سوى دقيقة واحدة، بالفعل أنا قادمة»

ثم صرخت للمرة الأخيرة

«آن! هل تري أحدًا قادمًا؟»

ردت شقيقتها قائلة:

«أرى رجلين راكبين على خيول مقبلين، لكنهم لا يزالون بعيدين جدًا»

صاحت هي:

«يا إلهي آخيرًا، إنهم إخوتي، قومي بالأشارة إليهم ليأتوا سريعًا»

صاح الزوج مرة أخرى بصوت عالٍ: «تعالي هُنا»

مما جعل صوته يهتز في المنزل بأكمله. نزلت الزوجة الخائف من مصيرٍ محتوم، بشعرها المفكك غارقة في دموعها. جلست على ركبتيها تتوسل له أن يدعها على قيد الحياة. لكنه أوقفها قائلًا: «كل هذا بلا جدوى، لأنك ستموتين لا محال» ثم أمسك بها من شعرها ورفع سيفه مستعدًا لنحر عنقها. توسلت الزوجة الفقيرة للحظة واحدة ارجوك. «لا، لا» قال الزوج «لن أُعطيكِ مزيدًا من الوقت، لقد أمضيتِ وقتًا كثيرًا بالفعل»

في هذه اللحظة، سمعا طرقًا قويًا على الأبواب، مما جعل الزوج ينتظر لحظة لمعرفة من فتح الباب، فوُجِئ أخيرًا بضباطًا

يرتدون زيهما ويديرون سيوفهما نحو الزوج صاحب اللحية الزرقاء، الذي عندما رأى أنهما إخوتها حاول الهروب من وجودهما، لكنهما تابعاه وأمسكا به قبل أن يقطع مسافة عشرين خطوة ونفذا سيوفهما في جسده فسقط ميتًا على قدميهما. الزوجة الباكية، التي كانت على وشك الموت الآن، لم تتمكن في البداية من النهوض وعناق إخوتها، لكنها سرعان ما استعادت وعيها؛ ونظرًا لعدم وجود ورثة للزوج، أصبحت صاحبة ثروته الكبيرة بالكامل. فقدمت جزءًا من ثروته الهائلة كمهر لشقيقتها آن، التي تزوجت بعد ذلك من شابٍ قد اختارته عن حب منذ فترة طويلة. أما الباقي فقد أعطته لرجل شريف تزوجته بعد هذا الحادث بوقت قصير، ومعاملته اللطيفة لها جعلتها تنسى بسرعة وحشية زوجها السابق صاحب اللحية الزرقاء.

النهاية

عن المترجمة:

سلمى الشرقاوي، كاتبة ومترجمة مصرية صدر لها ثلاثة أعمال روائية (ايثيريا) ٢٠٢١، (أندروميدا) ٢٠٢٢، (امازونيا) ٢٠٢٣، والعديد من الأعمال المترجمة مثل الترجمة الحصرية الاولى لرواية (نهضة أورورا) وكلاسيكيات مثل نساء صغيرات، الموت السعيد، حكمة الحياة، الإنسان الحديث في

البحث عن الروح، أكتشف نفسك، التزامن، أصنع معجزتك الخاصة.